1430هـ/2009م

سورة الضحى: دراسة صوتية

م.د. عزّة عدنان أحمد عزّت* و أ.م.د. رافع عبدالله مالو**

تاريخ التقديم: 2008/7/17 تاريخ القبول: 2009/2/18

معظم مقصد السورة بيان ما للرسول (ﷺ) من الشرف والمنقبة، نزلت بعد فتور الوحي – ولا نقول انقطاعه لأن السكون بعد الحركة قد لا يعني الانقطاع–[1]، وهي ثلاث مجموعات: الأولى فيها إبطال زعم الكافرين انقطاع الوحي، وتبشير الرسول بأن الآخرة خير من الأولى وذلك مما يغيظ المشركين، والثانية: فيها تذكير بما كان عليه (ﷺ) من يُتم وعيله، والثالثة: فيها أمر بعدم قهر اليتيم ونهر السائل فضلاً عن الشكر لله على ما حَقَّه به سبحانه من نِعَم[2]. واللطيف أن فواصل السورة انتهت بأصوات ثلاثة أيضاً: الألف والراء والثاء إلا أن الثاء لم ترد إلا مرة واحدة، وورودها في فاصلة الختام منفردة بصوت الثاء الذي لم يتماثل وحروف روي الآيات ولم يتقارب يثير الانتباه؛ لأن الأصوات القليلة تثير الانتباه بقلتها[3] كما الأصوات الكثيرة تُثيره بكثرتها، والشيء "إذا حصل على خلاف عادته وعلى غير ما كانت تتوقعه النفس، فإنه يكون مدعاة للفت انتباهها وإثارة تطلعها إليه وتشوقها لمعرفة السبب الذي من أجله جاء على هذه الصورة"[4].

ولما كان سبب نزول السورة هو فتور الوحي، فقد بدا لي وجود ما يربط الوحي بأرقام ثلاثة في السورة، هي عدد كلماتها، وعدد آياتها، وعدد مقاطعها

---

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية/ جامعة دهوك.

** قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

(1) تفسير القرآن العظيم، الشعراوي/ 84/3.

(2) تفسير التحرير والتنوير 394/30، وينظر: معارج التفكر 559/1.

(3) ينظر: تحليل الخطاب الشعري/99.

(4) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية/116، وينظر: الرمز والرمزية/362.

الصوتية التي تشير إشارة خفية غير مباشرة إلى الزمن الحقيقي الذي سينقطع فيه الوحي تماماً، فأمّا مجموع عدد مقاطع السورة الصوتية (114) مقطعاً صوتياً، فيتطابق وعدد سور القرآن (114) التي متى ما انتهت، انتهى نزول الوحي، وتجدر الإشارة هنا إلى أن سورة الضحى هي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تحمل هذا العدد من المقاطع الصوتية، وأما عدد آياتها البالغ (11) آية، فيتطابق وتسلسل السورة في النزول [1]، وأما عدد كلماتها البالغ أربعين كلمة، فهو يتطابق وسن الرسول (ﷺ) التي بلغها حين بعث رحمةً للعالمين [2]، أو عدد الأيام التي أبطأ فيها الوحي عن الرسول (ﷺ)[3].

وإذا ما علمنا أن جميع فواصل السورة انتهت بالمقطع الصوتي المفتوح (ص ح ح) بصوت الألف الممدودة، إلا الثلاثة الأخيرة، انتهت بالمقطع الصوتي المغلق (ص ح ص) اثنتان منها بصوت الراء في فعلين مضارعين مسبوقين بـ (لا) الناهية (لاتقهر، لاتنهر)، وواحدة هي الأخيرة بصوت الثاء في فعل أمر (فحدّث)، وان التحدث بنعمة الله "إيحاء ذاتي للنفس بذكر ما في الإنسان من نعم"[4] وان الإيحاء الذاتي الايجابي يكمن في أن يتحدث الإنسان عما فيه من نعم على أنها سبيله إلى السعادة [5]، وان التسكين يدفعنا إلى التوقف القسري، فيبرز الكلمة الأخيرة، لأن الوقفة تعني في العادة اكتمال البعد الدلالي [6]، استوعبنا الإعجاز في الإتيان بكلمة (فحدث) – وليس في السورة كلها ثاء فاصلة بل ليس فيها حرف الثاء على الإطلاق– دون (فخبر) على الرغم من اتساق الأخيرة والفواصل السابقة لها المنتهية بصوت الراء الساكن، لأن صفة التكرير في الراء توحي بتكرار أضعف مما توحيه صفة التفشي في الثاء التي تصور "تفشي الحدث

---

(1) بصائر ذوي التمييز 1/98–99، ومعارج التفكر 1/553.

(2) السيرة النبوية/1/249.

(3) الحجة في القراءات السبع/373.

(4) التفسير الكبير/31/220.

(5) القرآن والعلم الحديث/47.

(6) التوازي في شعر يوسف الصائغ، سامح رواشدة/ 25، مجلة أبحاث اليرموك، العدد 2، سنة 1998م.

واتساع مداه"[1] ولاسيما أنَّ الخبر يكون من طرف واحد، أما الحديث فيتشارك فيه أكثر من طرف.

يعزز ذلك ما في الآية الأخيرة من "تنبيه على أدب عظيم وهو التصدي للتحدث بالنعمة وإشهارها حرصاً على التفضل والجود والتخلق بالكرم وفراراً من رذيلة الشح الذي رائده كتم النعمة والتمسكن والشكوى" [2] ناهيك عن أن الانتهاء بالثاء يكسر أفق التوقع ويولد شعوراً بهزّة متولداً عن هذه الغرابة، وهو لا يمكن أن يكون شيئاً ثانوياً بل هو أساسي وعنصر جوهري[3]، وقد يوضح المخطط ذلك.

وأما اليتيم فلا تقهر ر عدم تكرار قهر اليتيم

وأما السائل فلا تنهر ر عدم تكرار نهر السائل

وأما بنعمة ربك فخبر ر تكرار الإخبار بالنعمة

وأما بنعمة ربك فحدث ث تفشي وانتشار التحديث بالنعمة

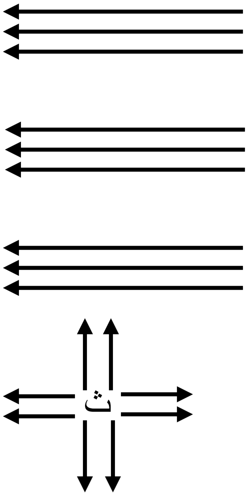

جدير بالذكر أن آيتين فقط في جزء (عَمَّ) انتهتا بصوت الثاء فاصلة، هذه الآية وهي مقترنة بالمقطع الصوتي المغلق (ص ح ص)، وقوله تعالى [**يوم**

(1) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن/ 79. و ينظر: سورة المؤمن دراسة لغوية تحليلية، فيصل مرعي حسن/63.

(2) تفسير القاسمي 422/9.

(3) ينظر: الغرابة عند عبد القاهر الجرجاني، موسى ربابعة 46 و 47، مجلة جذور، ج 5، مج3، ذو الحجة 1421 هـ/ مارس 2001.

يكون الناس كالفراش المبثوث // آ: 4–القارعة] إلا أن الأخيرة مقترنة بالمقطع الصوتي المديد المغلق (ص ح ح ص).

الآية	ص ح		ص ح ح			ص ح ص			ص ح ح ص		مجموع
	العدد	النسبة	العدد	الصوت	النسبة	العدد	الصوت	النسبة	العدد	النسبة	
1	1	33%	1	آ	33%	1	ض	33%			3
2	3	43%	2	آ آ	28.5%	2	ل ي	28.5%			7
3	7	58.5%	3	آ آ آ	25%	2	د ب	16.5%			12
4	7	50%	3	آ و آ	21.5%	4	ل ي ن ل	28.5%			14
5	7	54%	2	ي آ	15.5%	4	و ع ب ر	30.5%			13
6	5	45.5%	3	ي آ آ	27.25%	3	م د ن	27.25%			11
7	7	70%	1	آ	10%	1	ن	10%	1	10%	10
8	7	63.5%	2	آ آ	18.25%	2	ن غ	18.25%			11
9	4	40%	2	ي آ	20%	4	م ل ق ر	40%			10
10	4	%	2	آ آ	20%	4	م س ن ر	40%			10
11	7	54%	1	آ	7.5%	5	م ع ب د ث	38.5%			13
المجموع	59	52%	22		19.2%	32		28%	1	0.8%	114

وعلى صعيد المقطع الصوتي للآيات في السورة، فإننا نجد أن عدد المقاطع الصوتية المفتوحة القصيرة والطويلة (ص ح + ص ح ح) غلب عدد المقاطع الصوتية المغلقة (ص ح ص + ص ح ح ص)، فبلغ ما نسبته 71.05%، وهذه النسبة لم تصل إليها أو تتجاوزها في جزء عَمَّ إلا ثلاث سور (1): النبأ 70.2%؛ الشمس 73.7% والقدر 74% فضلاً عن ذلك فإن سورة الضحى، هي السورة الوحيدة في جزء عَمَّ التي تجاوز فيها المقطع (ص ح) نسبة 51.7% موازنة ببقية مقاطع السورة الصوتية، لتناقض بهذا تماماً الاتهام الذي أطلقه الكفار، لدلالة هذا المقطع على الحركة السريعة فناسب كل هذا غرض السورة وهدفها، في نفي سكون الوحي أو انقطاعه تماماً، بل إثبات دوام حركيته واستمراره.

---

(1) ينظر: بنية السورة القرآنية في جزء عمَّ يتساءلون دراسة صوتية، أطروحة دكتوراه، عزّة عدنان أحمد عزت.

وقد ألمح إلى وجود مقطع صوتي طويل مفتوح واحد (ص ح ح) في الآية الأولى، ومقطعين منه في الآية الثانية، وثلاثة مقاطع منه في الآية الثالثة، وكلها بصوت الألف، ممّا يعكس انقشاع الغمامة، ولاسيما أن الإخبار بهذا قد جاء في الآية الثالثة [**ما ودعك ربك وما قلى**] باستعمال (ما) + (الفعل الماضي) بمقطعها الطويل المفتوح (ص ح ح) وليس (لم) أو (لن) + (الفعل المضارع) بمقطعيهما المغلقين (ص ح ص)، لتبدو بهذا دلالة إطلاق النفي وعدم تقييده، فضلاً عن استعمال المضارع الذي يفيد استحضار الفعل، ويبدو أنّهُ لم يؤتَ به لأنه غير مرغوب فيه فهو يؤلم الرسول فضلاً عن أنه سوف يغير من موسيقى الفاصلة.

ويبدو أن المقطع الصوتي الطويل المديد المقفل بصامت (ص ح ح ص) الذي ورد مرة واحدة في السورة بكلمة (ضالاً) قد ربط سورة الأعلى بسورة الضحى، ولاسيما أن سورة الأعلى نزلت قبل سورة الضحى، ولذا قيل (ووجدك) بالماضي.

عود على بدء

سنقرئك فلا تنسى	ووجدك ضالاً فهدى
لا = لن	ناسياً
سورة (الأعلى)	سورة (الضحى)

أما النظر في تركيب آيات السورة، فيرينا في حذف مفعول (قلى) [1] "اختصاراً للعلم به وليجري على نهج الفواصل التي بعده أو لئلا يخاطبه [سبحانه] بما يدل على البغض" [2] وكذلك (آوى) و (هدى) و (أغنى) في الآيات اللاحقة فكلها "فواصل متتالية ترد في كل منها كاف الخطاب مع الفعل الأول [ودعك، يجدك، وجدك، وجدك] وهي تكفي لبيان المخاطب وتحديده ويصبح تكريرها إثقالاً للخطاب"[3]، فضلاً عما في الحذف من فائدة الإطلاق [1] أي ما قلاك: تركك أو

(1) ينظر: موسيقى اللغة/ 48.

(2) من وحي القرآن/136، وتفسير القاسمي 420/9.

(3) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن/96، وينظر: موسيقى اللغة/67.

أبغضك[2] ولا أحداً من أصحابك [3]، يعززها المقطع الصوتي الأخير المفتوح بحركة طويلة (ص ح ح) في (قلى) الذي يعبر فعلاً عن الإطلاق، والمخطط الآتي قد يوضح ذلك:

ما ودعك ربك وما قلى ك ⁄

ألم يجدك يتيماً فآوى ك

ووجدك ضالاً فهدى ك

ووجدك عائلاً فاغنى ك

ولهذا فإننا نلمح في قراءة وَدَّعك [4] بتشديد الدال الانفجاري الشديد المجهور المسبوق بالنفي بالأداة (ما) المفتوحة المقطع الصوتي، توكيداً بعدم ترك الله رسوله الكريم، ولا نلمح هذا في قراءة وَدَعَكَ بالتخفيف فضلاً عن أنها قليلة الاستعمال [5]، وأنها لا تحمل في طيّاتها ظلال التوديع.

ويبدو عدم استعمال ضمير الجمع في سورة الضحى، كما في سورة الانشراح متناسباً والموقف فيها، فهو موقف إيناس واستعطاف من الربّ لرسوله في مقابل ما أشاعه المغرضون، ومثل هذا الموقف يلائمه حديث الخليل لخليله لا استعمال ضمير المتكلم العظيم، أمّا سورة الانشراح فقد استخدم فيها ضمير الجمع إشعاراً بأنَّ المِنَنَ التي امتنّ بها سبحانه على رسوله هي منن عظيمة تناسب عظمة واهبها، ولو أبدلنا ضمير المفرد بالجمع لحصلنا على:

ما ودعناك وما قلينا ← خسارة دلالة لفظ ربك [6]

وللآخرة خير لك من الأولى

ولسوف نعطيك فترضى ← خسارة دلالة لفظة ربك مرة ثانية

---

(1) التفسير الكبير 209/32.

(2) معجم غريب القرآن/172.

(3) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم/127.

(4) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم/127.

(5) المحتسب 364/2.

(6) سوف تذكر لاحقاً دلالات ما خُسِرَ في الاستبدال.

ألم نجدك يتيماً فآوينا خسارة دلالة توالي المقطع (ص ح ح)
ووجدْناك ضالاً فهدينا استبدال الفتح بالسكون على الدال.
ووجدْناك عائلاً فأغنينا استبدال الفتح بالسكون على الدال.

وبهذا يتغير إيقاع السورة كثيراً، بل ويفقد ما لفت نظرنا إليه في السورة في الآيات الثلاثة التي يفصّل فيها سبحانه وتعالى بعض ما أنعم به على رسوله في الدنيا بقوله [**ألم يجدك يتيماً فآوى * ووجدك ضالاً فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى***] التي ورد الفعل (وجد) فيها مضارعاً في الآية الأولى، فكأن سكون صوت الدال في (يجدْك) يكاد يرسم صورة سكون اليتم وانكساره، أما الحركة في الفعل الماضي (وَجَدَ) في الآيتين اللاحقتين المتكونِ من ثلاثة مقاطع صوتية مفتوحة منتهية بحركة الفتح، فيبدو مناسباً لحركة الذهن في التفكير والتأمل والقلق وحركة الجسد في التنقل لكسب الرزق، ويبدو لنا أيضاً أن الفعل المضارع (يجدك) يتناسب تماماً ومعنى الآية لأنه يفيد التجدد، فالرسول (ﷺ) كان يتيماً أكثر من مرة، فتارة فقد أباه وهو في بطن أمه، ثم فقد أمه وهو ابن ست سنين، وأخرى جدّه وهو ابن ثماني سنين، فضلاً عن فقدانه لاحقاً عمه أبا طالب الذي ناصره على أعدائه[1]، أما مناسبة الفعل الماضي في الآيتين اللاحقتين **[ووجدك ضالاً فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى]** فللانتهاء وعدم التكرار.

ويبدو أن استعمال الفعل (وجد) بهذه الأصوات قد جعل الجو المعنوي النفسي يسيطر على الموقف، فتتهيأ للرسول به الطمأنينة الوجدانية لتلقي الآيات[2]، فقوله تعالى **[ألم يجدك]** دلَّ على اختصاص الله سبحانه بمعرفته به أنه يتيم وضال وعائل، والجيم في (وَجَدَ) تشعرنا بالفرحة المفاجئة بانفجارها الشديد المفاجئ، وترسم صورته (ﷺ) كيف وجده سبحانه فاحتضنه، فضلاً عن أن الوجود

(1) التفسير الكبير 214/32.
(2) التفسير البياني 45/1.

هنا يعني العلم [1]، أما (تكن يتيماً) فتصوره (صلى الله ليه وسلم) وحيداً، والله سبحانه لم يرضَ له أن يكون بهذه الحال.

أما الفعل (آوى) الذي جاءَ في القرآن الكريم أربع عشرة مرة "لا يخطئ الحس منها جميعاً معنى المأمن والحمى والملاذ، إما حقيقة، وإما على سبيل الرجاء"[2] فإن حذف مفعوله في الآية [**ألم يجدك يتيماً فآوى**] كان كصرخة مستغيث ممتدة بالألف تتبعها الواو التي تضم الشفتين، تصوّر المنقِذ وهو يضم المنقَذ، ثم ينطلق به إلى النجاة بالألف الممدودة الأخيرة ذات المقطع الصوتي المفتوح الذي يمثل الفرج، وعلى الرغم من أنَّ آوى بمعنى ضَمَّ [3]، إلاّ أنَّ جميع أحرف لفظة (آوى) أحرف علة، تعبر عن الألم والمعاناة، وكأنها تسمعنا آهات المعلول ينادي طالباً المساعدة بالإيواء بمعنييه "إما من أواه بمعنى آواه وإما من أوى له إذا رحمه" [4]، ولو قيل (آوينا) لحصلنا على مقطع صوتي مغلق يتوسط المقطعين الصوتيين المفتوحين فكأننا حينئذ بطريق الإنقاذ يُقْطَع ثم يُستأنَف، وكذلك (هدى) بما تحمله من "ترويح وتطمين وهدهدة للروح المتعب، والخاطر القلق والقلب الموجوع"[5]، نلمح فيها حاجة الشحنة السالبة إلى الشحنة الموجبة بين لفظ اليتيم المكسور ومقطعه الصوتي الطويل (ص ح ح) بيائه الممتدة، وبين الإنقاذ بإيوائه بألفين ممتدين في (آوى)، وكذلك بين (الضال) المحصور بمقطعين صوتيين صامتين، أحدهما مديد أُخرج إلى ثلاثة مقاطع مفتوحة أحدها طويل، بالهداية في الفعل (فَهَدى).

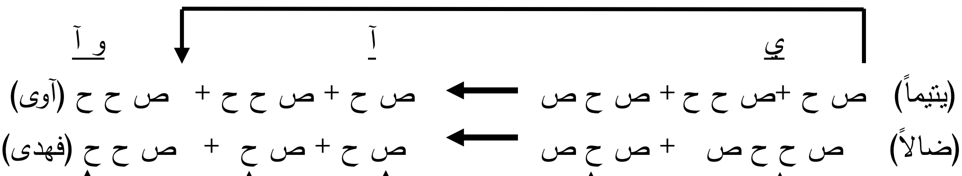

(1) تفسير الكشاف/1209.

(2) التفسير البياني 38/1.

(3) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى/318.

(4) التفسير الكبير 214/32.

(5) في ظلال القرآن/ 184/30.

(2) مغلق (3) مفتوح

وإذا ما نظرنا إلى عدد المقاطع الصوتية في الآيات، فإننا نرى أن أكثر الآيات عدداً مقاطع صوتية، هي الآية الرابعة [**وللآخرة خير لك من الأولى**]، فناسب تفوق عدد مقاطعها معناها تماماً.

أما إذا نظرنا إلى تركيب الجملة في آيات السورة الذي أَثرَّ في فاصلتها، فإننا نجد تجديد العطاء التوجيهي الإلهي [1] في "فصول متساوية الأجزاء حتى كأنها أفرغت في قالب واحد" [2] في قوله تعالى [**فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر**] ولم ترد فلا تقهر اليتيما، ولا تنهر السائلا، على الرغم من تناغم الفاصلة بينها والفواصل السابقة، بل وردت الآيتان منتهيتين بمقاطع مغلقة منتهية بصامت لكي لا تكون شبه رجاء رد الفضل بل تذكيراً بما مضى وآمراً بما أتى، فالفاصلة "وإن كانت جزءاً من النغم إلا أنها محكومة بالمعنى الذي يفرضه السياق أو الحالة النفسية التي يريد القرآن للسامع أن يكون عليها، ومن أجل ذلك قد يضحى بالفاصلة والموسيقى المتناغمة من أجل نغمة أخرى تخالف ما قبلها وما بعدها طلباً لتصوير فني يفوق مقصده لو جُعلت الفاصلة متناغمة مع بقية الفواصل في السورة" [3]، ومع هذا، وعلى الرغم من أن السورة ليست مبنية على صوت الراء التكراري الذي يفيد التكرار، فإن حذف مفعول الفعلين (تقهر) و (تنهر) أبرز صوت الراء التكراري، فكأنه يكرر الخطاب ويؤكده[4]، فضلاً عن ذلك فإنَّ حذف المفعول سبّب سهولة نطق اللفظة التي كانت ستنتهي بالمقطع الصوتي المديد (ص ح ص ص) في تقهره وتنهره، وبذا لم يقترن ثقل اللفظ وثقل تنفيذ الأمر، فيستصعب الأمر لفظاً وتنفيذاً، على الرغم من أن إبقاء الهاء (أي عدم

---

(1) ينظر: الفاصلة في القرآن/ 395–397.

(2) المثل السائر 270/1.

(3) أبحاث في أصوات العربية/143.

(4) الإيقاع أنماطه ودلالاته/79.

حذف المفعول) ما كان ليخلَّ بالفاصلة، فهي في الآيتين مختلفة عن سابقاتها، ونرى من خلال كل هذا أن تقديم اليتيم والسائل على الفعل (تقهر وتنهر) أبرز صوت الراء التكراري، فوفّر بذلك الإيقاع القوي المشعر بالأمر نظراً لقلة المقاطع الصوتية الطويلة المفتوحة، أما تأخيرهما فيتسبب بأحداث إيقاع أخف لايتسق والأمر الرباني، إذ تزداد المقاطع الطويلة المفتوحة – لو قيل اليتيما – أو يدخل معها مقطع صوتي مديد في الفاصلة – لو قيل اليتيم – وستكسر (راء) (تقهر) و (تنهر) لالتقاء الساكنين، فتضعف صفة التكرير في الراء، فضلاً عن أن تقديم اليتيم والسائل يفيد الاهتمام بشأنهما والتوجيه إلى عدم استضعافهما [1]، جدير بالذكر أن تركيب فلا تقهر اليتيما ولا تنهر السائلا، يفقدنا الأداة (أمّا) بميمها المدغمة المشددة التي تفجر والراء الحس المبهم بالمرارة [2]. والمخطط الآتي يوضح ذلك:

(فأما اليتيم فلا تقهر)	(10 مقاطع صوتية آخرها مغلق)
ص ح = 4 = 40%	(ص ح + ص ح ص) = شدة الإيقاع وسرعة
ص ح ح = 2 = 20%	الزمن = 80%
ص ح ص = 4 = 40%	
فلا تقهر اليتيما	(8 مقاطع صوتية آخرها مفتوح)
ص ح = 3 = 37.5%	(ص ح + ص ح ص) = شدة الإيقاع وسرعة
ص ح ح = 2 = 37.5%	الزمن = 62.5%
ص ح ص = 2 = 25%	
فلا تقهر اليتيم	(7 مقاطع صوتية آخرها مديد مغلق)
ص ح = 3 = 42.8%	(ص ح + ص ح ص) = شدة الإيقاع وسرعة
ص ح ح = 1 = 14.3%	الزمن = 62.5%
ص ح ص = 2 = 28.58%	
ص ح ح ص = 1 = 14.3%	

(1) ينظر: التفسير البياني/46/1، وتفسير التحرير والتنوير/401/30.

(2) ينظر: أقنعة النص/120.

وإذا ما نظرنا إلى مفردات السورة، فإننا نرى في اسم السورة والآية الأولى منها (والضحى) المكتوبة في المصحف بألف في صورة ياء، مع أن الأصل واو[1] ما يصور تدرج نزول الوحي مروراً بنزول السورة وانتهاءً بآخر آية في القرآن، فتسلسل حركة الشفة عند نطقها يبدأ بتكويرها تهيئاً للنطق بالواو ثم انفتاح فانطباق للسان عند النطق بالضاد، ثم تكوير ثانٍ للشفة بضم الضاد، ثم انفتاح بالحاء، فانفتاح أكبر بإطلاق الألف

تكوير ←—— انفتاح ←—— انطباق ←—— تكوير ←—— انفتاح←—— انفتاح أكبر

وكأن في التكوير الأول قبل النطق ما يصور صلصلة الجرس التي كان يسمعها (ﷺ) قبل نزول الوحي، والانفتاح الأول هو ماكان من القرآن من بعض سوره (العلق، المدثر، المزمل، القلم، الفاتحة، المسد، التكوير، الأعلى، الليل، والفجر)، ثم الانطباق الذي يمثل فترة فتور الوحي، ثم التكوير الذي ابتدأ عنده النزول بعد الانقطاع، تمثله سورة الضحى، ثم الانفتاح مصوراً ما تلاها، فالانفتاح الأكبر ممثلاً لبقية سور القرآن حتى آخر آية فيه، يعزز ذلك، مطابقة هذا القسم – وهو نور الضحى – للمقسم عليه وهو نور الوحي[2].

ويبدو لي أن انقطاع الوحي بعد نزوله بـ (258) آية فقط والقرآن فيه (6218) آية[3]، ما يشبه جرعة التلقيح القليلة التي تحمي الجسد من الأمراض،لابد منها، والنبي (ﷺ) لاقى من الوحي شدّة في أول أمره لقوله تعالى [**انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** //آ:5– المزمل]، فكأنَّ فترة فتور الوحي جاءت تقوية لنفسه على احتمال ما سيتوالى[4].

---

(1) تفسير التحرير والتنوير 395/30.

(2) ينظر: القسم في القرآن/111.

(3) بصائر ذوي التمييز 560/1.

(4) ينظر: التفسير البياني 22/1.

وجدير بالذكر أن إحدى طرق التلقيح طبياً تكون بأخذ جزء ممّا يُراد التلقيح به منه، ويعطى لقاحاً [1]، فضلاً عن هذا كله فإن ابتداء السورة بالقسم بالضحى[2] تتسق لغوياً وما سبق؛ لأن الضحى يكون بعد الفجر والشروق، وانقطاع الوحي سبقه مجيء، فكأنه بهذا يرسم ابتداء شروق الإسلام، ولاسيما أن مادة (ض. ح. و) تفيد الإشراق [3]، أما صوتياً فالحاء الذي يقترن معناه – كما لفظه ودلالاته الصوتية – بمعاني الراحة والكشف والانبساط [4]، يشعرنا بانتشار فحيحه الهادئ بانتشار الضوء، وبالتالي انتشار الدعوة الإسلامية التي انتشرت هكذا بالفعل.

أما استعمال (سجى) في الآية الثانية دون غيرها من المترادفات كـ (أقبل) أو (جاء) أو (استوى) أو (استقر) أو (سكن) أو (أظلم) أو (ركد) أو... [5] ففيه ما يوحي بالأمن والطمأنينة، فالليل هو الليل الساجي الذي سكنت ريحه واشتدت ظلمته[6]، هو الليل الذي يرقّ ويسكن ويصفو، لا الليل على إطلاقه بوحشته وظلامه، إنه الليل الذي يشعرنا بالانسيابية والهدوء في القدوم فالسكون من معاني سجى[7]، وفي الآية إسناد مجازي "حيث أسند السكون إلى الليل وهو لأهله" [8]، والسورة كلها "لمسة من حنان ونسمة من رحمة وطائف من ودّ ويد حانية تمسح على الآلام والمواجع، وتنسم بالروح والرضى والأمل، وتكسب البرد والطمأنينة واليقين"[9].

---

(1) لقاء شخصي مع الأستاذ الدكتور صميم الدباغ، عميد كلية الطب، جامعة الموصل/ 2004.

(2) ينظر: موسيقى اللغة/36.

(3) ينظر: كلام العرب/30.

(4) النقد الجمالي/134.

(5) ينظر: تفسير الطبري 278/30، والتفسير البياني 23/1، وينظر: ألفاظ الزمان/169.

(6) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم/126.

(7) ينظر: التفسير الكبير 207/31، والتفسير البياني 25/1، ومختار الصحاح 287–288.

(8) الجدول في إعراب القرآن 352/30.

(9) في ظلال القرآن 184/30.

وتبدو لنا دقة استعمال لفظة (ودّع) و (قلى) بدل (ترك) و (بغض) لما في ودّع من التوديع[1] المصاحب للمحبة بين المتوادعين، فالمودع هو من يفارق وهو متعلّق بمن ودّعه ولم يكره لقاءه[2]، علماً أنه لم يودعه سبحانه لأنه لم يتركه أصلاً، فضلاً عن أن الودع منه الوديعة، وهي ما تستودعه غيرك ليحفظه لك [3]، فهي أمانة يحافظ عليها، وقد ألمح في ظلال الآية معنى أنه لم يَدَعْك أو يُوَدِّعْك أو يودِعْك وديعةً عند أحد فكيف به يتركك؟ والترك لايحوي هذه المعاني بل منه التركة التي تقسم بين الورثة، وشتان ما بين الاثنين من فارق!

ويبدو أن لفظة ربك التي اطرّد ذكرها في "حال الدعاء حيث يكون المرء في ضعف"[4]، قد أضفت بمجيئها في الآية [**ما ودعك ربك وما قلى**] نوعاً من الرقة والشفافية تناسب حالة الضعف التي يكون فيها من هو في موقف الرسول حينئذ، بل وتتناغم وإضافتها إلى ضمير المخاطب، وهذا بعض من دلالات لفظة (ربك) التي أشرنا سابقاً إلى أننا سوف نخسرها في حال استبدلنا ضمير المفرد بضمير الجمع.

وأما إذا ما نظرنا إلى الأصوات في السورة، فنجد أن عدد الأصوات المجهورة في الآيات الثلاثة الأولى قد بلغ (13) صوتاً والمهموسة (3) والشديدة (2) والرخوة (8) والمتوسطة (3)، فأما تفوّق الأصوات المجهورة بنسبة 81.25% على المهموسة فلأسماع المنكرين الذين قالوا إن محمداً قد تركه ربه، وأما غلبة الأصوات الرخوة على الشديدة والمتوسطة فلأن في الحديث مواساة ورقة وليناً على الرغم من القسم، لذا نستشعر في التعبير جواً من "الحنان اللطيف والرحمة الوديعة والرضى الشامل والشجى الشفيف"[5].

---

(1) ينظر: تفسير الكشاف/1208، وتفسير التحرير والتنوير 395/30.

(2) تفسير القاسمي 419/9، ومعارج التفكر 563/1.

(3) معجم كتاب العين 223/2.

(4) التصوير الفني/105.

(5) التصوير الفني/105.

وأما عن أصوات المفردات، فنرى اقتران القهر باليتم، والفعل من القهر لم يأت في القرآن كله في غير آية الضحى (1) لمناسبة صوت القاف القوي الشديد للغلبة والاستيلاء بالفعل أولاً كالدع والتحقير لقوله تعالى [**فذلك الذي يدع اليتم**//آ: 2–الماعون]، وبالقول ثانياً لقوله تعالى [**وقولوا لهم قولاً معروفاً** //آ: 8– النساء]، وبالإشارة ثالثاً مثل عبوس الوجه، مقابل هذا يقترن النهر بالسائل لمناسبة صوت النون – وهو أضعف من القاف – النهر، لأنه بالقول (2) أو الإشارة فقط وليس بالفعل.

---

(1) تفسير القاسمي 419/9، ومعارج التفكر 563/1.

(2) ينظر: تفسير التحرير والتنوير 402/30–403، ومن بلاغة القرآن/182.

1430هـ/2009م

Al-Dhuha Sura: A Phonetic Study

Dr. Azza A. Ahmed* & Asst. Prof. Dr. Rafi' A. Mallo**

Abstract

This study analyses Al-Dhuha (forenoon/ morning) sura through an analysis of the number of its verses, words, and syllables. The study uncovers a connection between the time of its descent, and the reason behind it. There is an implicit allusion in this sura to the exact time as to when the revelation to the Prophet will cease. The total number of syllables in this sura, 114, coincide with the total number of suras of the Qur'an. It is also concluded the descent of inspiration. The fact that Al-Dhuha is the only sura in the Qur'an with this number of syllables. This confirms the connection referred to above.

51.7% of the syllables in this sura are short open syllables, which alludes to the perseverance of the descent of inspiration. As for the number of words, they are forty words. It could be interpreted to match either the age of the Prophet (PBUH) at the time when he was chosen as Allah's Messenger; or the number of days when the inspiration ceased to descend.

Al-Dhuha has eleven verses, which is also suggestive. This number matches the order of descent of this sura among

* Dept. of Arabic/ College of Education/ University of Dohuk.
** Dept. of Arabic/ College of Arts/ University of Mosul.

the other suras of the Qur’an; i.e. it was the eleventh in the succession of the suras revealed to the Prophet.